

السيمائية وحدود القراءة من منظور عبد الملك مرتاض.

Sémiotique et les limites de la lecture par d'Abdelmalek Mrtad

دكتور عبد القادر شارف

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف الجزائر

ملخص المقال باللغة العربية :

لا شك وأن الساحة النقدية في الجزائر تشهد في السنوات الأخيرة تطورا منقطع النظير، وعن ذلك في الجهود الجبارة المبذولة من قبل ثلة من الباحثين والدارسين الغيورين على أدب أمتهم وإبداعاتها، ومن ثمة ألفينا هذا اللبيب يأخذ على عاتقه مسؤولية التنظير للنقد عامة، والنقد الجزائري خاصة، كما حاول جاهدا تشفيح ذلك بالجوانب التطبيقية على الإبداعات الأدبية والفكرية التي أبدعتها أقلام جزائرية مسهمة بذلك في إثراء صرح الإبداع الإنساني عموما، والجزائري خصوصا، ومن بين هؤلاء النقاد الأفاضل الدكتور عبد المالك مرتاض الذي أثرى الساحة الأدبية والنقدية بأعماله الكثيرة والقيّمة.

ومن هنا تأتي هذه الورقة البحثية المتواضعة والموسومة ب: **السيمائية وحدود القراءة من منظور عبد الملك مرتاض**، وسنحاول فيها التعرض إلى ألوان القراءة، والكشف عن وظيفة كل واحدة منها، وما إذا كان عبد الملك قد لامس فعلا القراءة الواحدة، أو اتجه صوب الاختلاف فيها، وهل يرد ذلك إلى الذوق أم الثقافة والسن؟.

ملخص المقال باللغة الفرنسية:

Il ne fait aucun doute que la scène monétaire en Algérie a vu au cours des dernières années a développé inégale, et dans les efforts considérables déployés par un groupe de chercheurs et de savants qui se soucient vraiment de la littérature de leur nation et de la créativité, et il est à venir dans cette multitude mixte prend la responsabilité pour l'endoscopie critique publique, et la critique du privé algérien, il a également essayé difficile à expliquer aspects appliqués des créations littéraires et intellectuelles qui estimait stylos algérienne, contribuant ainsi à l'enrichissement de ladite créativité humaine en général, et notamment l'Algérie, et parmi ces critiques de dotation Dr Abdelmalek Mrtad qui ont enrichi la scène littéraire et critique et les nombreux précieux travail.

Par conséquent, le présent document modeste venir et étiqueté: Sémiotique et les limites de la lecture par d'Abdelmalek Mrtad, et nous allons essayer de l'exposition pour lire des couleurs, et de révéler la fonction de chacun d'entre eux, et si Abdelmalek a déjà touché une lecture, ou se dirigea vers la différence et si elle est donnée au goût ou de la culture et de l'âge?.

الكلمات المفتاحية:

السيمائية - النقد - عبد الملك مرتاض - القراءة - ألوان - المنهج - النصوص - القلق المعرفي - الإجراء - معالجة - الحداثة.

Sémiotique- critique- Abdelmalek Mrtad- lecture- couleurs- méthode- textes- procédure- l'anxiété cognitive- traitement- Modernité.

والنظام، التقرير والإيحاء.

اقترن المصطلح في حركة التأليف المبكرة عند العرب بعدد من العلماء منهم جابر بن حيان (200هـ - 815م) الذي كان عظيم الثقة بنفسه ويعلمه، ولكن لم تساعده أدوات ذلك العصر الباكر على تحقيق ما كان يفكر فيه من خيال علمي طموح، ومن تلك الأفكار في ذلك الزمان فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة، ولما لم يستطع تحقيق بعض ذلك الطموح، تحول علم الكيمياء عنده إلى ما عرف بعلم (السيمياء)، وقد كان مفهوم هذا العلم في ذلك الوقت قريباً من السحر، يقول صاحب كتاب أبجد العلوم: " السيمياء هي اسم لما هو غير حقيقي من السحر...وسيمياء لفظ عبراني معرب أصله

تعد السيمائية من المصطلحات التي استخدمت في مجالات علمية متعددة منذ وقت مبكر، وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنموذج اللساني البنوي المعاصر الذي أرسى دعائمه اللغوي المشهور السويسري دي سوسير جاعلاً من اللسانيات علماً شاملاً تستفيد منه المعارف الأخرى كالنقد الأدبي والأسلوبية والتحليل النفسي وعلم الاجتماع.

فقد وجدت السيمائية - بوصفها علماً حديثاً - في المبحث اللساني مرتكزا تقوم عليه، وتستقي منه تقنيات وآليات ومفاهيم تحليلية خاصة سيمياء الدلالة التي تلجأ إلى تطبيق الثنائيات السيمائية على موضوعات غير لغوية، ولكنها ذات طبيعة اجتماعية كالألبسة والأطعمة والموروثات الثقافية، ومن أهم هذه الثنائيات:اللسان والكلام، الدال والمدلول، المركب

(سيم به)"⁽¹⁾، وذكر إضافة إلى جابر بن حيان أسماء علماء آخرين منهم: ابن سينا، والسهر وردي، وابن خلدون والحلاج، وكمال الدين بن يونس.

وجاء في كتاب كشاف اصطلاحات الفنون أن السيمياء هي: علم تسخير الجن... بعض أنصاف العلماء أدخلوا تحت السيمياء علومًا عدة منها علم أسرار الحروف وهو تفاريح السيمياء، ولا يوقف على موضوعه، ولا تحاط بالعدد مسأله"⁽²⁾، ولكن ماذا تقول المعاجم العربية 5.

جاء في إحدى هذه المعجمات: "السومة والسيما والسيمياء: العلامة، وسوم الفرس: جعل عليه السيمة، وقوله عز وجل: (حجارة مسومة عند ربك للمسرفين)؛ قال الزجاج: روى الحسن أنها معلمة ببياض وحمرة، وقال غيره: مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا، ويعلم بسيماها أنها مما عذب الله بها؛ قال الجوهري: السومة بالضم العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضا، تقول منه تسوم، قال أبو بكر: قولهم عليه سيما حسنة معناه علامة ... والخيال المسومة هي التي عليها السمة، والسومة وهي العلامة، وقال ابن الأعرابي: السيم العلامات على صوف الغنم، وقال تعالى: (من الملائكة مسومين)؛ قرئ بفتح الواو، أراد معلمين

¹ صديق القنوجي، أبجد العلوم ج1، الطبعة الأولى ص392.
² التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون 1/ 999.

...وفي حديث الخوارج: سيماهم التحليق أي علامتهم، والأصل فيها الواو فقلبت لكسرة السين وتمد وتقصر، وقد يجئ السيماء والسيمياء ممدودين ..."⁽³⁾.

أمّا المعاجم الأجنبية فقد فرقت بين مصطلحين: الكيمياء وهي العلم المعروف (Chemistry) وعلم آخر (Alchemy) وهو يرمز إلى ما كان يسمى عند العرب بعلم السيمياء، وهو علم كيمياء القرون الوسطى، وربما سموه (الخيما) لقرب اللفظتين لفظاً ومعنى"⁽⁴⁾، ويمكننا أن نقول أنها تحريف للفظ العربي السيمياء، خاصة لاحتفاظها بـ (أل) التعريف التي لازمت المصطلح دلالة على أصوله العربية، ويرى بعض العلماء أن لفظ السيمياء هو أحد المعربات الثلاثة السيمولوجيا والسيولتيكو والسيمياء للفظ يوناني (السيميوطيقا) من كلمة (السيمولوجيا) وتعني العلامة، ويعرفه بأنه: "علم يدرس العلامة ومنظوماتها (أي اللغات الطبيعية والاصطناعية)، كما يدرس الخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها"⁽⁵⁾، أي تدرس علاقات العلامات

³ ابن منظور لسان العرب مادة (سوم).
⁴ Edition copyright C2000 by Houghton Mifflin company ; Updated in 2009. Published by Houghton Mifflin company. All rights reserved; p 269.
⁵ إبراهيم صدق/ السيميائية اتجاهات وأبعاد، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، ص 77.

والقواعد التي تربطها أيضاً، وهذا التعريف يدخل تحته عدد من العلوم مثل الجبر والمنطق والعروض، والرياضيات وغيرها من العلوم، وهذا شبيه بما صنع العرب حين خلطوا السيمياء بالسحر.

يقرُّ الكثيرون أنَّ تعريف هذا المصطلح ليس بالأمر الهين لسببين: الأول هو تعدد وجهات النظر، والثاني هو الحداثة، فهم يرون أنَّاية محاولة للتعريف لابد لها أن تصطدم بتعدد وجهات النظر في تحديد هوية هذا الحقل المعرفي تحديداً قاراً خصوصاً إذا أدركنا الحيز الزمني الذي يستغرقه وهو حيز قصير، فقد عرّفها بيارغيرو بأنّها: "العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات: اللغات، والأنظمة والإشارات والتعليمات..."⁽⁶⁾، وهذا التحديد يدخل اللغة تحت مفهوم السيميوطيقا، وهو الفهم الجديد لعلم السيمياء الذي يعود الفضل فيه إلى العالم الشهير فيردنا ند دي سوسير كما ذكرنا سابقاً، يقول عن السيمياء في كتابه: محاضرات في علم اللغة: "أنها العلم الذي يدرس حياة العلامات من داخل الحياة الاجتماعية، ونستطيع - إذن - أن نتصور علماً يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي، وهذا العلم يشكل جزءاً من علم النفس العام، ونطلق عليه مصطلح علم الدلالة

(السيميولوجيا)، وهو علم يفيدنا موضوعه الجهة التي تقتنص بها الدلالات والمعاني، وما دام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبأ بمصيره، غير أننا نصرح بأن له الحق في الوجود، وقد تحدد موضوعه بصفة قبلية⁽⁷⁾.

إنَّ دي سوسير كما نرى قد تصور وجود هذا العلم وبين اشتقاقه وأصله، حدد موضوعه، ونادى بحقه في الوجود ووصف علاقة هذا العلم الذي لم يكن قد ولد بعد، بكل من علم النفس الذي هو الأصل الذي ينتمي إليه العلم المبشر به، وبين علم اللسان الذي سيكون جزءاً منه، كما بين وظيفته وأهميته في بيان مدلولات الإشارات ومعرفة قوانينها التي تحكمه.

إن تعدد مصطلحات السيميائية من باحث إلى آخر لا ينفي حقيقة كون هذه المصطلحات دالة في عمومها على فكرة واحدة هي النظر إلى العلامة بوصفها إشارة تدل على أكثر من معنى، وهي كذلك تتفق على النظر إلى أنظمة العلامات بوصفها أنظمة رامزة ودالة، وهو نظر قديم في الحضارات كلها تقريباً: الصينية واليونانية والرومانية والعربية، وإن بقي أكثر ذلك النظر أسير التجارب الذاتية وبعيدا عن الموضوعية، حتى جاء القرن العشرين حين تمكن العلماء من إبراز

⁷ عبد الرحمن جبران : (مفهوم السيميائيات)، الحوار الأكاديمي والجامعي العدد الأول يناير 1988م، ص76.

⁶ إبراهيم صدق/السيميائية اتجاهات وأبعاد، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، ص 77.

النظريات وتأطيرها وتحديد الاتجاهات المتباينة، بحيث تعد الدراسة السيميائية ثمرة من ثمار القرن العشرين، فقد ظهر الشكل الواضح المعالم مع اللغوي دي سوسير ومعاصره تشارلز سندررس بيرس.

وعلى الرغم من أن السيميائية انحصرت في أغلب الأحيان في مفهومين هما: السيميوطيقا والسيميولوجيا في الدراسات الانجليزية والفرنسية، إلا أنها تشعبت وتعددت واختلفت تسميتها في الدراسات النقدية العربية، فهناك عدد كبير من الدارسين العرب يستخدمون المصطلح، ومنهم الدكتور محمد مفتاح، وسامي سويدان، وعبد العالي بوطيب، وجمال شعيد، ومبارك حنون، والدكتور عبد الملك مرتاض، هذا الأخير الذي أثرى الساحة الأدبية والنقدية بأعماله الكثيرة والقيمة.

ولا شك أن الساحة النقدية في الجزائر شهدت في السنوات الأخيرة تطورا منقطع النظير، وعن ذلك في الجهود الجبارة المبذولة من قبل ثلة من الباحثين والدارسين الغيورين على أدب أمتهم وإبداعاتها وعلى رأسهم الدكتور عبد الملك مرتاض، ومن ثمة ألفينا هذا الرجل يأخذ على عاتقه مسؤولية التطوير للنقد العربي عامة، والنقد الجزائري بصفة خاصة، فقد حاول جاهدا تشفيح ذلك بالجوانب التطبيقية من خلال إبداعاته الأدبية والفكرية التي أثرى بها صرح الإبداع الإنساني عموما، فقد

حاول التعرض إلى ألوان القراءة، والكشف عن وظيفة كل واحدة منها، وما إذا كان قد لامس فعلا القراءة الواحدة، أو اتجه صوب الاختلاف فيها، وهل يرد ذلك إلى الذوق أم الثقافة والسن؟.

ولعل القبض على القراءة ليس بالأمر الهين ولا بالحكم النهائي، وإنما قراءة القراءة التي يمكنها أن تتعد إلى أكثر من مفهوم حسب رؤية القارئ، ولا يمكن بأية حال من الأحوال البلوغ والكشف عن مقاصد المبدع، والأهداف والدوافع التي يسعى إليها، وإنما مجرد رأي قد يكون صحيحاً أو خاطئاً، وفي هذا المضمار يقول عبد الملك مرتاض " من السذاجة أن نزعّم أننا نبلغ من النص الذي نقرأه منتهاه إذا وقفنا من ما حوله مسعانا على منظور نفساني فقط، أو منظور اجتماعي فقط، أو بنيوي فقط مثلاً... من أجل ذلك تميل الاتجاهات المعاصرة إلى التركيب المنهجي لدى قراءة نصها، مع محاولة تجنيس التركيبات المنهجية حتى لا نقع في التلقيفية، وقد دأبنا نحن في تعاملنا مع النصوص التي تناولناها على محاولة المزوجة أو المثلثة أو المربعة بين جملة من الأجناس باصطناع القراءة المركبة التي لا تجتزئ بمنظور أحادي إلى النص لأن مثل ذلك المنظور مهما كان كاملا دقيقا، فلن يبلغ من النص كل ما فيه من مركبات

لسانية، وإيديولوجية، وجمالية، ونفسية" (8).

ويبقى مصطلح القراءة مصطلحاً منفتحاً بإجراءاته على المناهج النقدية والأدبية مجتمعة أو منفردة، وعلى تقنياتها؛ فيظهر الشمولية والموازنة والمقارنة، وبهذا فضلناه ليس بعده مصطلحاً نقدياً ونظرية محددة؛ وإنما باعتقاده طريقة فنية تؤدي إلى إنشاء منهج نقدي عربي تكاملي أصيل غير بعيد عن المناهج النقدية والأدبية.

وإننا لنُدعي أنَّ القراءة المحكمة الواعية، والمتوازنة أيدتْ بمنهج نقدي مفضل وقارئ حسَّاس ممنوح يملك معرفة لغوية ونقدية يمكن لها أن تفتح آفاق التجربة الإبداعية، ومن ثم تحقق لنا تجربة نقدية إبداعية صحيحة، لأنَّ مفهوم القراءة لغة يحمل معاني الجمع والإبلاغ والدراسة.

ولعلَّ ذلك يقوي فينا العزيمة على وضع تعريف للقراءة النقدية؛ فهي قراءة ذوقية حدسية ومعرفية جادة وواعية وجريئة ومتوازنة لفهم النص الأدبي واستيعابه، ومن ثم تحليله وتفسيره وإبلاغه، فالقراءة الحقيقية لا تقرُّ بالنقد الذي يحاول الهيمنة على النص بأدوات معرفية ذهنية عقلية خالصة من

دون الاهتمام بذاتية الناقد التي أصرَّ عليها عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز).

والنص "عالم ضخم متشعب، متشابك، معقد" (9) حتى وإن كان هذا التداخل وذاك التعقيد يلج بعيداً عن محدثه، وإذا كنا قد وقَّعنا صدَّ "عبد الملك" للمنهج الجاهز الذي يأتي به صاحبه إلى النص، فلأن النصوصية وثَّقت للباحث أن الأداة الواحدة التي كانت مثمرة في عين الموضع في نص مشابه تصير غير قادرة أمام الموقف الجديد، لذلك كان إجراء المنهج الواحد في نصوص مختلفة ابتداءً لحق هذه النصوص، يقول عبد الملك مرتاض: "إنَّ النص الأدبي عالم مغلق، ولكنه قابل للانفتاح، بيد أن مفتاحه لا نأخذه في يدنا ونمضي لنفتح أبوابه ونستكنه أسرارهِ، وإنما نبحت عن هذا المفتاح في شياهِه ذاتها" (10)، ويرجع هذا الأخير اختلاف القراءات وتنوعها عند القراء: "لاختلافنا في الذوق، ولاختلافنا في مستويات المخزون الثقافي، ولاختلافنا في درجات التحسس بالجمال العظيم" (11)، كما

⁹ ينظر: محمد تحريشي- النقد الأدبي في شروح

الشعر العربي ص: 45.

¹⁰ عبد الملك مرتاض- التحليل السيميائي

للخطاب الشعري- مجلة علامات ج 5

م 2 ص: 145- 1992

¹¹ عبد الملك مرتاض -النص الأدبي ص: 42.

⁸ أدونيس - سياسة الشعر - دار الآداب - بيروت 1985 ص: 49.

يجعل اختلافنا في إدراك اللوحة الزيتية يعود- باعتبار قراءة - إلى السن واللغة والتجربة والثقافة والأيدولوجية والميول والهويات... وهو التصنيف الذي يوحي بوجود مستويات للقراءة تقابلها مستويات للقراء، وكما يقابل المستوى في هذا الشطر المستوى المماثل في الشطر الثاني، فإن الحديث عن القراءات يأخذ صفتين: صفة الدرجة، وصفة اللون، مادامت الدرجة تعني الثقافة، والذوق والسن والتجربة، والاهتمام بالإيدولوجي.

ولقد حاول " حميد لحميداني" رسم تقابلات بين مستويات المعرفة، ومستويات القراءة التابعة لها، وتحديد الوظيفة القائمة وراء كل قراءة، متجاوزا اعتبارات الذوق، والسن، والتجربة فكان هذا الجدول:

مستويات المعرفة	مستويات القراءة	الوظيفة
- المعرفة الحدية	- القراءة الحدية	- التذوق، المتعة
- المعرفة الأيدولوجية	- القراءة الأيدولوجية	- المنفعة
- المعرفة الذهنية	- القراءة المقارنة، إدراك الأبعاد	- التأويل، التحليل
- المعرفة الأبتمولوجيا	- القراءة المنهجية	- التذوق، إدراك الأبعاد

ويتدارك الباحث على جدولته قائلا:
 "...ولا ينبغي الاعتقاد بأن هذه القراءات جزر متباعدة، بحيث لا يمكن أن تلتقي أو

تتداخل فيما بينها، فالقراءة المعرفية قد لا تستغني عن القراءة الحدية، ولكن حدس الناقد ليس في مستوى حدس القارئ العادي، أو حدس دارس الأدب المتهيب من المنهج، ومن كل معرفة منظمة، هناك إذن التقاء ممكن بين جميع المستويات، وإن كان التمايز بينها تفرضه هيمنة إحداها في كل مستوى من مستويات تلقي النص الأدبي" (12).

وهو تدارك لا يوحي بتعدد القراءات وتلونها، بقدر ما يشير إلى قراءة واحدة، ينتقل فيها الاهتمام من المتعة إلى المنفعة إلى التحليل ثم التأويل، ولعل موضوع القراءة وإشكال العلاقة بينها وبين النص الأدبي، من المواضيع الأكثر حداثة في ميدان البحث الأدبي.

ولذلك ينحصر عملنا في تحديد فعل القراءة في أبعاده الإجرائية بالخصوص، من منظور عبد الملك مرتاض، الذي يشكل محور ومدار اهتمامنا، فما يهمنا في هذا العرض هو التركيز على الجوانب المتصلة اتصالا وثيقا بنظريته عن فعل "القراءة" وعلاقة ذلك بالنص والتأويل.

بيد أن حديث "عبد الملك" لا يلامس القراءة الواحدة، وإنما يتجه صوب الاختلاف فيها، فيردّه إلى الذوق، والثقافة والسن، والاهتمام الأولي، وهي خانات يمكن أن تصنف فيها قراءة عديدين،

¹² نفسه، ص: 53.

كأن يجعل لكل قارئ خانة، على اعتبار اختلافه ضرورة عن غيره، حتى وإن تساوت الدرجات بينها ذوقاً، وثقافة، وسناً، وأمام تعذر مثل هذا التصنيف يلتفت "عبد الملك" إلى جهة القراءة لجعلها ألواناً يعرضها كاشفاً عن وظيفة كل واحدة منها⁽¹³⁾.

ومن هنا نقول أن قراءة القراءة لا تسعى إلى إصدار الأحكام، وتقويم القراءات لأن ذلك من شأن النقد وحده، ولكنها تعمل جاهدة على تبيين القراءة الأولى، وإعانة القراء على تلمس مواطن الجودة فيها، وتمكين تعدد الأصوات ووجهات النظر، وفتح حدود النص على شعرية الانفتاح، وإنتاجية الغموض غير أن "قراءة القراءة" ليست هي "نقد النقد" لأنها تسعى إلى "الحد من غلواء السلطة الصارمة القاصمة التي كان النقد يتصف بها عبر تاريخه"⁽¹⁴⁾.

ومن هنا نقول: إنَّ القراءة هي الإسهام في النفاذ إلى دواخل النص الشعري ورصد قوانين التي تديره، وهي قوانين مستترة على نفسها في صميم ذلك النص ذاته، فتستعصي، تبعاً لذلك على التحديد والضبط، ولما كان النص لا يمنح من شعريته إلا بالقدر الذي يحجب، "فإنه من الطبيعي أن تظل تلك القوانين مقفلة على

نفسها، مستترة غاية التستر وأنه من الطبيعي أيضاً أن يتطلب الكشف عنها تسليمًا من الدارس بأن النص ليس شيئاً مواتاً، بل إنه كيان زاخر بالحركة طافح بالهدير والاندفاعات، أي أنه ليس مجرد وعاء الذي يحمل معاني تمنح نفسها للقراءة مهما كانت عادية ومتعجلة، بل إنه هو الذي يبتني معانيه، من صميمه يستلها ومن حركاته، حركات كلماته وصوره ورموزه يبيّن دلالاته، وإيقاعه وشعريته"⁽¹⁵⁾.

حاول عبد الملك مرتاض إعادة صياغة مجموعة من الإشكاليات الخاصة بقضايا تأويل النص الأدبي وآلية القراءة ودور القارئ، وقد جعل في هذا المنحى "مجموعة من الدراسات المتميزة كان آخرها كتابه "نظرية القراءة".

وأول العناصر التي يتكلم عنها مرتاض في سياق إمعانه للأصول المفضلة النص الأدبي فهو تشكيل لغوي ذو مستويات مثل مستوى اللغة، ومستوى الدلالة، ومستوى الزمن، ومستوى الإيقاع... الخ⁽¹⁶⁾.

ويؤكد مرتاض للدارس السيميائي المتصدي للنصوص الأدبية فيومئ إلى ضرورة تناول الشمولي للنص

¹⁵ ينظر: حبيب مونسي - كتاب فعل النشأة والتحول ص: 152- 153.

¹⁶ مرتاض - (أ- ي) - ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1992، ص: 11.

¹³ عبد الملك مرتاض - القراءة بين قيد النظرية وحرية التلقي ص: 15.

¹⁴ أحمد خرماشو: فعل القراءة وإشكالية التلقي، مجلة علامات، ع. 100، س. 1998، ص: 53.

الأدبي⁽¹⁷⁾، بما فيه من شكل ومضمون، فهذان الأخيران متلازمان ملتزمان، بحيث يصير فصل أحدهما عن الآخر ضرباً من ضروب التشويه بالعمل الأدبي، ويشبه مرتاض هذا الالتحام بالتحام الروح والجسد، ممّا يوحي بمدى التصاق أحدهما بالآخر، فالبحث عن المضمون في النص الأدبي من خلال دراسة الجانب الشكلي له، يعد إضافة إلى كمال بنيان النص الأدبي، ذلك أنّ النص الأدبي بناء متماسك وشبكة متحدة الأجزاء لا يمكن تناول بعضها دون البعض الآخر.

ومن هنا يصير مقدور الناقد "إصدار أحكام جمالية متعلقة بالنص الأدبي المدروس"⁽¹⁸⁾، يخالف المنهج السيميائي، فالنقد "مجرد نشاط ذهني يساق حول نص آخر دون أن يسعى بالضرورة إلى اتخاذ رداء القاضي المتحكم القادر على تعرية ما بالداخل"⁽¹⁹⁾.

وربما يكون تصور مرتاض للنص على أنه حجرة مغلقة مفتاحها بداخلها، تصورا يبعث الوهن في النفس، ويستأصل الشجاعة وبذورها، ويقتلع كل جذور الإقدام من أرض الناقد الأدبي، ونأخذ من هذا المثال الجزء المتعلق بالمفتاح لكي نقول أنّ المفتاح موضوع في ثقب الباب في تناول الفاتح الذي ينوي الفتح، يكون الاقتراب

من الباب ونية فتحه كافيين لعرض المفتاح على الفاتح، وهذا التصور الذي تولد عن التحوير البسيط الأقرب إلى المبادئ التي ترتكز عليها السيميائية، بحيث يصبح المفتاح المعروض أمام كل راغب في الدخول الحجرة بمثابة الإشارات المنبعثة من الأشياء ومن الألفاظ ومن العلائق الرابطة بين الألفاظ والمكونة للنص الأدبي، وبعد ضبط هذه العناصر المميزة للنص الأدبي، يتساءل مرتاض عن موضع العنصر الذي يشكل الخاصية الأدبية في النص الأدبي.

من الواضح أنّ عبد الملك مرتاض مولع بالحدثة كونه قارئاً جيداً يعود إلى أمات النصوص النقدية، إلا أن هذا لم يقطع انقطاعاً ما في الحلقة التي توجه أي ناقد متخصص من مرحلة القلق المعرفي إلى مرحلة تشكيل خلفية فكرية بمنهج يسحب معه كل الإجراءات الملازمة له لمعالجة نص ما، ونحن هنا أمام حالة خاصة للتعامل المنهجي المرتبك.

وإذا كان كلامنا يومئ بنقص في الاستيعاب، فإننا لا نشك تماماً في القدرة الفائقة التي يملكها ذهن مثل ذهن مرتاض على تطويع ما شاء النقد من الأفكار والمذاهب والمناهج والإجراءات.

إنّ المسار النقدي لعبد الملك مرتاض مكّيّ بلا ثبات المنهج، فعدم استقراره النَّفْسِيّ المعرفي الذي يرافق مشروعه النقدي صيره لا يستقر لمنهج واحد في مقارنة أو تحليل نص أدبي، سردياً كان أو

¹⁷ المصدر نفسه - ص: 18.

¹⁸ المصدر السابق - ص: 12.

¹⁹ م.ن - ص: 12.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- بالعربية

- 1- إبراهيم صدق، السيميائية اتجاهات وأبعاد، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر بسكرة 7- 8 نوفمبر 2000.
- 2- أحمد خرماش: فعل القراءة وإشكالية التلقي، مجلة علامات، ع. 100، س. 1998.
- 3- أدونيس - سياسة الشعر - دار الآداب - بيروت 1985.
- 4- حبيب مونسي، كتاب فعل النشأة والتحول مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض دار الغرب للنشر والتوزيع. 2001.
- 4- صديق بن حسن القنوجي، أجد العلوم، تحقيق عبد الجبار الزكار، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1978
- 5- عبد الرحمن جبران: (مفهوم السيميائيات)، الحوار الأكاديمي والجامعي العدد 1 يناير 1988م.
- 6- عبد الملك مرتاض - (آ - ي) - ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1992.
- 7- عبد الملك مرتاض - التحليل السيميائي للخطاب الشعري - مجلة علامات ج 5 م 2 - 1992.
- 8- عبد الملك مرتاض، عبد الملك: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلي، دار الكتاب العربي، الجزائر 2001.

شعريا، لاحتياج هذا الأخير لتقنيات يسدّ بها متطلبات النص الأدبي، حيث يرى أنّه "لا يوجد منهج كامل، مثالي، لا يأتيه الضعف ولا النقص من بين يديه ولا من خلفه، وإذن، فمن التعصب [...] التمسك بتقنيات منهج واحد على أساس أنّه، هو وحده، ولا منهج آخر معه، مجردة أن يُتبع" (20) لذلك "وانطلاقا من حتمية انعدام الكمال في أي منهج، فإننا لا نستقيم، من حيث المبدأ، إلى أي منهج إذا؛ ونجتهد، أثناء الممارسة التطبيقية، أن نضيف ما استطعنا إضافته من أصالة الرؤية لمنح العمل الأدبي الذي نجزه شيئا من الشرعية الإبداعية، وشيئا من الدفء الذاتي، معا [...] (21)" وبالتالي غدا "تهجين أي منهج أمر ضروري لتكتمل أدواته، وليصبح أقدر على العطاء والرؤية" (22).

وعموما فقد كان عبد الملك مرتاض في مرحلة "التأسيس والتجريب" هذه يبسط لإرساء معالم منهج نقدي جديد يحتكم إلى التأويل المحايد للظاهرة من بعض الملامح التقليدية مثلما عثرت على عتبة الفصل بين شكل النص ومضمونه، لينجر عن ذلك تجزئ المنهج وإخفاقه في احتواء الظاهرة النصية المجملة.

²⁰ مرتاض، عبد الملك: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2001، ص: 18.

²¹ المرجع نفسه، ص: 19.

²² نفسه، ص: 21.

- 9- عبد الملك مرتاض - القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي مجلة تجليات الحداثة العدد 4، جامعة وهران 1996.
- 10- محمد تحريشي- النقد الأدبي في شروح الشعر العربي رسالة ماجستير بإشراف عيسى علي العاكوب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، حلب 1989.
- 11- محمد علي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم مكتبة لبنان، ط1، 1996.
- 12- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، للطباعة والنشر، (د.ت.).

ب- بالأجنبية :

1- Edition copyright C2000 by Houghton Mifflin company ; Updated in 2009. Published by Houghton Mifflin company. All rights reserved; p 269.

